

السؤال التاسع

الله يحب كون المعصية عند المجبرة

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادي: ثم سلهم عن قول الله، عز وجل: ﴿وَيَتَّخِذُ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾^(١)، هل أحب الله أن يستشهد أحدٌ من خلقه؟

فإن قالوا: نعم. فقل: أفليس إنما تكون الشهادة بأن يقتل الرجل؟.. أفليس قد أحب الله أن يقتل؛ لأنه قد أحب أن يستشهد، والشهادة لا تكون إلا بقتل من عاصر؟ أفليس قد أحب الله أن تكون إذن المعصية؛ لأن الشهادة لا تكون إلا بمعصية، فقد أحب الله أن تكون المعصية ممن علم أنه سيعصى؟..

فإن قالوا: لم يحب الله أن يستشهد أحدٌ^(٢) من خلقه.

فقل: أفليس قد كره الله ما صنع حمزة بن عبد المطلب^(٣)، ولم يحب ما يصنع، ولا أن يستشهد أحداً^(٤) ممن كان مع رسول الله، صلوات الله عليه وعلى آله وسلم، وقد أمر الله بما لا يحب؛ لأنه قد أمر بالقتل وفيه الشهادة فقد أمر بما لا يحب وقوله: ﴿وَيَتَّخِذُ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾، فهو لا يحب ما قال إنني متخذ منكم ومثيبتكم عليه الجنة؟..

فإن قالوا: نعم. فهو تكذيب لكتاب الله، فابصر مواضع هذه المسائل، فإن فيها بلاغاً، والحمد لله.

رد أحمد بن يحيى:

الجواب، قال الإمام الناصر لدين الله أحمد بن يحيى، صلوات الله عليهما: قد فهمنا ما اعتلتت به، من قول الله، جل ثناؤه: ﴿وَيَتَّخِذُ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾، واعتقادك في ذلك أن الله، عز وجل عما قلت، هو الذي قتل الشهداء، أو سفك دماءهم، وأراد ذلك

(٢) في الاصل: احداً.

(١) سورة آل عمران: الآية ١٤٠.

(٣) في الاصل: احداً.

(٤) هو حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ، أسلم قبل الهجرة، وكان قوي التشكيمة، أسد لله ورسوله، هاجر وشهد بدرًا، وكان فتحاً للإسلام والمسلمين، فجاهروا بالدعوة، قتل شهيداً بأحد، ودفن بالمدينة سنة ٣هـ.

من المشركين وقدره عليهم، وخلق فعلهم بالمؤمنين، وقضاه على الفرقين جميعاً، فقتل أولياءه وأهل طاعته وعبادته ومحبته وأنصار نبيه، صلى الله عليه، بأيدي أعدائه المخالفين له، والمشركين به والمحاربين له ولنبيه، صلى الله عليه ولمن ولاه ووالى رسله من المؤمنين!

٥٠ ظ / وهذا القول يوجب عليك، أن حسن نظره ورضاه ومحبته. / وإرادته لظفر المشركين بأوليائه، وأهل طاعته، وقتل حمزة بن عبد المطلب، رحمة الله عليه ورضوانه، فلم يفعل المشركون من قتل المؤمنين، على قولك، إلا ما أراد الله، عز وجل، من قتلهم لأهل طاعته وأنصاره، وأوليائه وصفوته، فذلك قولكم أيها المنجبر، وعليه وضعت حجتك هذه علينا، فى اتخاذ الشهداء من المؤمنين، وأنه هو الذى أراد قتلهم وقضاه عليهم، وأراد كون المعصية من المشركين، زعمت!

الفعل بين إرادة الله وإرادة إبليس :

ونحن نقول لك : إن إرادة الله، عز وجل، فى قتل المؤمنين، على قولك، موافقة لإرادة إبليس اللعين فى قتل المؤمنين؛ لأن إبليس أراد أن يقتل الأنبياء والمؤمنين، وأن تكون الغلبة والظفر للمشركين؛ لأنهم أولياءه وأهل طاعته، فأراد إبليس أن تكون الدائرة والحسرة، على أعدائه المؤمنين؛ لأنهم أبغض الفريقين إليه.

وكذلك أراد الله، زعمتم، فى حجتكم هذه علينا، أن إبليس أحسن نظراً لأهل طاعته من الله، عز وجل، لأهل طاعته؛ لأن إبليس يريد أن يكون الظفر للمشركين على المؤمنين، وأن الله، عز وجل، كما قلت، أراد قتل المؤمنين وسفك دمايهم، وظهور المشركين عليهم، وظفرهم بهم، وأن يعصيه المشركون فى قتلهم، فبين إرادة الله، عز وجل، فى أوليائه، وأهل طاعته وأنبيائه، والأئمة من عباده، من زوال الأقدام، وظهور الأعداء، وبين إرادة إبليس فى ثبات أقدام أوليائه، وظهورهم على حزب الله، عز وجل، وغلبتهم للمؤمنين، فرق عظيم!!!

إرادة الله مخالفة لإرادة إبليس :

وهذا لازم لكم، وفيه خروجكم من الإسلام، أو الرجوع إلى التوبة، وأن إرادة

إبليسُ قد وافقت إرادة الله، زعمتم، فى قتل الشهداء ، وأن رسول الله (محمد المصطفى) ^(١) صلى الله عليه . مخالفةً لإرادته لإرادة الله فى قتل الشهداء ؛ لأن النبي ، صلى الله عليه، قد أحب بقاء عمه حمزة، وعمه قتله، وبلغ منه، وأوجع قلبه، ومن قتل معه من المهاجرين والأنصار، رضوان الله عليهم، جميعاً، وعمه أيضاً ، وبلغ منه ظفر المشركين به وبأصحابه .

إلا أن يقول: إن النبي ، صلى الله عليه، كان شامتاً فرحاً بقتل الشهداء!.. فوافق إبليس فى فرحه بقتلهم وشماتته عليهم، كما زعمت، أن الله، عز وجل، أراد قتلهم، وأن يعصيه المشركون فى ذلك، فاتفقت إرادة الله، عز وجل، وإرادة نبيه، صلى الله عليه، وإرادة إبليس، عليه لعنة الله، جميعاً فى قتل الشهداء، والرضا به والمحبة لزوالهم من الدنيا، وراحة المشركين منهم واختلال موضعهم من الإسلام ، وظهور المشركين على الرسول ، صلى الله عليه، فلا لوم على إبليس لموافقته لإرادة الله وإرادة رسوله، على قود قولكم!

وهذا أعمى العمى ^(٢)، وأكفر الكفر؛ لأن الصحيح فى إرادة إبليس، المخالفة لله ٥١ و/ ورسوله؛ وأن الله ورسوله لم يريدوا ، ولم يحبباً قتل المؤمنين ، وأن إبليس أراد قتلهم وظهور المشركين عليهم .

ثم نقول لك : يا عبد الله بن يزيد البغدادي: أخبرنا : هل كانت العربُ، أهل اللغة والكلام الصحيح والفصاحة، عند فصل الخطاب، الذين خاطب الله، عز وجل، محمداً ، صلى الله عليه، بلغتهم ، وقال : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ ^(٣) ، فهل كانت العربُ والنبي، صلى الله عليه ، وأصحابه من المهاجرين والأنصار، رحمة الله عليهم، يسمون حمزة بن عبدالمطلب ، رضى الله عنه ، «سيد الشهداء» قبل أن يقتله المشركون فى يوم أحد؟!

فإن قلت : نعم . أكذبك جميعُ أهل الإسلام، وعلموا أنك قد قلت غير الحق ، وشهدوا لنا عليك جميعاً ، بأنك افتريت الباطل، وما لا يعرف فى الإسلام .

(٢) فى الاصل: حما العما .

(١) زيادة من الهامش .

(٣) سورة إبراهيم : الآية ٤ .

حمزة شهيد بعد قتله :

وإن قلت : إن النبي ، صلى الله عليه ، وأصحابه من المهاجرين والانصار ، والتابعين بإحسان ، إنما سموا حمزة ، رضوان الله عليه ، سيد الشهداء ، بعد ما استشهد في يوم أحد ، هو وأصحابه . لزمك أن الله ، عز وجل ، إنما اتخذ الشهداء شهداء ، بعد ما قتلهم المشركون ؛ لأنه سلط عليهم أعداءه المشركين ، حتى قتلوهم ، وأدخلوا بقتلهم البوهن على نبيه ، صلى الله عليه !! عز ذلك الواحد العدل ، الذي لا يجور ولا يقضى بالفساد ، الذي لا يرضى لأوليائه ، وأهل طاعته ، إلا بالسلامة من الأعداء تخييراً ، والطاعة وقلة المخالفة والكف عنهم وحقن دمائهم ، وأن يكون لهم العاقبة والغلبة ، والظهور والرياسة ، هذه إرادة الله ، عز وجل ، في أهل طاعته ، وأهل ولايته ومحبته وأنصار دينه ، عز وجل ، الذي حرّم دماءهم غاية التحريم ، وأكد في قتلهم على الظالمين ، غاية التأكيد ، وهذا القرآن ، أكثر شاهد لنا ، وأفلح حجيج .

قال الله ، عز وجل : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا (٩٣) ﴾ (١) ، فبلغنا أن عبد الله بن العباس (٢) ، رحمة الله عليه ، قال لما نزلت الآية : ما كان الله ، عز وجل ، أن يقطع عنه ، يعنى القاتل ، مع قوله عز وجل : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ (٣) ، وقوله : ﴿ وَمَنْ قَتَلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا ﴾ (٤) ، فسمّاه مظلوماً ، وجعل لوليه الحكم والحجة ، ولو كان الله ، عز وجل ، في قتل المؤمنين سبباً سبباً واحداً من جميع الأسباب كلها ، لم يسم المقتول مظلوماً ، فيكون الله : عز وجل ، قد دخل في ذلك الظلم ، وعاب ما فعل وزراً ، ٥١ ظ / نفيما هي عن فعله ، عز وجل عن ذلك ، العدل الذي لا يجور ، ولا يفعل إلا الحكمة ، ولا يريد الباطل ولا يقضى بالفساد ، ولا يخلق الكفر ، ولا يقتل الأولياء بأيدي الأعداء / ولا يظهر عليهم الأشقياء ، ولا يُعذبُ على ما صنع ، ولا يؤخذ بما قدر ، ولا يعيب ما خلق ، ولا يضطر إلى ما علم ، ولا يوجب النار على أمرٍ هو فعله ،

(١) سورة النساء : الآية ٩٣ .

(٢) هو عبد الله بن العباس ابن عم رسول الله ، ﷺ ، حبر الامة ، ترجمان القرآن ، نشأ في الإسلام ، وروى عن رسول الله ، وشهد صفين والجمل مع امير المؤمنين علي بن أبي طالب ، ولد في ٣ ق هـ ، وتوفى في الطائف ٦٨ هـ بعد مامل الدنيا علماً وفقهاً . انظر ، ترجمته الزركلى : الاعلام ٩٥/٤ .

(٣) ، (٤) سورة الإسراء : الآية ٣٣ .

ولا يغضبُ مما أدخل فيه، وحمل عليه وقدره، قدوس رب الملائكة والروح، (و) كذبَ العادلون بالله، وضلوا ضلالاً بعيداً، وخسروا خساراً مبيناً.

ثم قال، عز وجل: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (١).

أفهدا، أيها المهلك لنفسه، والمفتري على خالقه، قول من أراد قتل أوليائه بأيدي أعدائه ١١٩ قاتلكم الله أنا توفكون.

فاتخاذ الله، عز وجل، للشهداء، إنما هو بعد قتلهم لا قبله، جزاء بما نالهم في جنبه، وتشريفاً لهم وتفضيلاً، بما وفوا به من الشراء، الذي باعوا فيه أنفسهم وأموالهم، رحمة الله عليهم ورضوانه، وإنما اتخذ الله، جل ثناؤه، شهداء من المؤمنين، لما قتلوا في سبيله مجاهدين للكفار، ناصرين للحق دافعين عن الرسول، صلى الله عليه وعلى آله، راغبين في الثواب، مستبشرين بالبيع الذي قال الله، عز وجل: ﴿إِن السَّلَةَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ السَّلَةِ فَاصْتَبَرُوا بِيَعِكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١١١) ﴿٢﴾.

فاخبرهم، عز وجل، أن لهم الجنة، والملك الذي لا يزول، على أن يقاتلوا دون الإسلام، وأعداء الله المشركين، فمن قتلوه صار بقتلهم له إلى النار والعذاب المقيم، ومن قتلهم فقد استحق من الله، عز وجل، الخلود في نار جهنم أبداً الأبد، بما عصوا الله ورسوله، وكذبوهما، واتبعوا أهواءهم في ذلك، وجعلوا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية، إذ لم يحملهم الله، عز وجل، على قتل أوليائه، ولم يردده منهم، ولم يقضه عليهم ولم يقدره من فعلهم، ولم يخلقه فيهم، بل قال، جل ثناؤه: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ (٣)، وقال: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبينَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٢٦) وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا﴾ (٢٧) ﴿٤﴾.

(٢) سورة التوبة: الآية ١١١.

(٤) سورة النساء: الآيات ٢٦ - ٢٧.

(١) سورة المائدة: الآية ٣٢.

(٣) سورة العنكبوت: الآية ١٧.

فأخبرنا ، عز وجل ، كيف إرادته ، وكيف العدل فيها؟ وأخبرنا كيف إرادة أعدائه والجور فيها، مع قوله إن الله برئ من المشركين ورسوله، ليس براءته إلا من فعلهم ، وقد فسرناه في صدر كتابنا هذا .

فالله، عز وجل ، إنما اتخذهم شهداء بعد قتلهم، لا قبله ، أى سماهم وحكم لهم أنهم شهداء تجب لهم الجنة .

٥٢ و / فاما أن يكون نجبراً وقسراً، وأراد من أعدائه المشركين قتل / أوليائه المؤمنين، فحاشاه وتقدس عما قلتهم، والدليل على ذلك والحجة لنا القاطعة ، فيه قوله، تبارك وتعالى : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾ ^(١) ، فأوجب قتل المشركين حتى لا يبقى على وجه الأرض مشرك ولا فتنة، ويكون الدين كله لله، عز وجل، ولا يبقى دين من جميع الأديان كلها الباطلة في أرضه .

وأراد أن يبقى دينه الذى ارتضاه لنفسه، وفى هذا أكبر الدليل وأبين الحجة على أنه لم يرد قتل أوليائه، ولا ظفر المشركين بهم؛ لأنه لو أراد قتل أوليائه، فيمن إذن تقتل أنبيأؤه أعدائه؟ حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين كله لله؟

ومن الحجة أيضاً ما يوجب بطلان قولكم، ويدحض حججتكم، أن نقول لك : هل أراد الله، عز وجل، من المشركين أن يقتلوا أوليائه من المؤمنين؟

فإذا قلت : نعم . . . كما قد قلت، أكذبك الله، عز وجل، فى قوله : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾ ^(١) ، فيلزمك أنه إذا لم يكن فتنة ، وكان الدين كله ، عز وجل ، على فرض لم يبق فى الأرض فتنة، ولا مشرك يقتل المؤمنين ، وعباد الله الصالحين ، فهذا يوجب عليك أنك قد أبطلت وأخطأت فى قولك : إنه، عز وجل، أراد قتل أوليائه ؛ لأنه لو أراد قتلهم لم يعن أعداءهم بالقتال الذى افترض على النبى، صلى الله عليه، والمؤمنين، تخييراً لاجبراً ، حتى تكون لهم العاقبة والملك والسلامة من القتل ، وفى هذا كفاية لمن عقل وأراد الحق، وتاب عن الفرية على الله ، جل ثناؤه .

وإن قلت : إن الله، عز وجل، لم يرد قتل أوليائه من المؤمنين، ولم يقضه على المشركين . رجعت عن قولك ، وصرت إلى قولنا بالعدل، وذلك هو الحق ، ولا نعلم لك مخرجاً من

(١) سورة النساء: الآية ١٩٣ .

ثم قال فى كتابه للكفار: ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٧) ﴿ (١) ،
ويحك فأخبرنا، ماذا عملوا ، وإنما بإرادته قتلوا، وإرادته دخلوا النار، جل الله عما
قلتم !!

ثم وصف المؤمنين فقال: ﴿ وَالَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ (٤)
سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ (٥) وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ (٦) ﴿ (٢) ، وهو ، زعمتم ، الذى
أراد قتلهم، وإرادته قتلوا ، وإرادته دخلوا الجنة لا بعمل ، زعمتم ، فى قود قولكم ؛
لأنه ، زعمتم ، فى قود قولكم ؛ لأنه - زعمتم - جعل بعضهم مؤمنين وبعضهم
كافرين .

ثم قال لهؤلاء: ﴿ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٢٤) ﴿ (٣) ، ولم يقل ما قالت المجبرة من أن
ذلك الجزاء كله كان بإرادته وباستحقاق، وكان من فعل الفريقين، ولا أنه دخل بمقياس
ذرة فما دونها .

أدلة المجبرة متهاقنة :

أفترى ، أيها المفتري، أن البهائم لو علمت، واحتج عليها، بدون هذه الحجج ، هل
كانت تستجير أن تقول مثل مقول المجبرة، المفترية على الله الزور والبهتان !!؟

وهؤلاء المجبرة المفترون على الله، جل ثناؤه ، يسمعون القرآن يتلى عليهم فى
كل يوم، ويحتج به أهل العدل فى رده دعواهم، وهم مع ذلك يصرون ويستكبرون
على الجهل، والتعاضى عن الحق، وليس من سورة إلا وفيها العدل شاهد على من
خالفه ، ولو كان فى القرآن آية واحدة، توجب لهم علينا حجة، أو تقطع لنا مقالة،
٥٣ و / لانقدر لها على جواب ؛ لفسد جميع العدل، ولم تقم لأهله حجة؛ وإنما
تعلقوا بايات متشابهات، ولم يعرفوا معانيها / وقلدوا كبارهم، وما غروهم به
فى تأويلها، مع جهلهم باللغة العربية وتصرفها فى القرآن، وجهلوا التأويل الموروث
عن أهل بيت النبوة ، عليهم السلام، وأبغضوا الحق وأهله ، ونصبوا لهم العداوة

(١) سورة التحريم: الآية ٧ .

(٢) سورة محمد " الآيات ٤ - ٦ .

(٣) إشارة لعدة آيات من القرآن سبق تخريجها من قبل وليس بها: « بما كنتم » ، ولكن يوجد بالقرآن « بما كانوا » ، كقوله

تعالى : « جزاء بما كانوا يعملون » سورة الواقعة الآية ٢٤ .

وتعاموا عن قوله، عز وجل، ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ (٣٣) ﴿ (١) .

فى فضائل آل البيت :

والمطهر من الرجس، لا يكون فى دينه زلل، ولا فى قوله ميل، ولا فى تاويله للقرآن خطل، فلم يكن، عز وجل، ليظهر من يكذب عليه، ويكون من عانده أولى بالحق منه، وهو، عز وجل، أعلم بالمفسد من المصلح، ولو علم أن أهل بيت النبوة يقولون عليه بالجبر والتشبيه، والأمر الذى زعم من خالفهم أنهم فيه مخطئون، من قولهم بالعدل والتوحيد، وإثبات الوعد والوعيد والإمامة.

ما أذهب الله، عز وجل، الرجس عن من يعلم أنه يكذب عليه، ويعتقد غير دينه الذى ارتضاه، وإذن لم يطهرهم تطهيراً، وهو يعلم أن فى الأمة من هو أبصر منهم بالدين، وأقوم بالحق، وأقول عليه بالعدل والتوحيد والتصديق.

ثم يصطفى أهل البيت دونهم، ويجعل إليهم الرئاسة والسياسة، وهو يعلم أن فى أمة محمد، صلى الله عليه، من هو خير منهم، ثم طهرهم وأذهب عنهم الرجس، وفى الأرض من هو أحق بالتطهير وإذهاب الرجس منهم، وليس هذه صفة حكيم ولا حسن الفعل، ولا مفضل لأهل الفضل، ولا مَعْرَفٌ بقدر مستحق، ولا مبين له على من هو دونه، وهو الذى قال، عز وجل: ﴿ إِنَّا لَا نَضِيعُ أُجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ (٣٥) ﴿ (٢)، وقال: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ ﴾ (٣)، وقال: ﴿ يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ﴾ (٤)، أى: سماهم ضلالاً بفعلهم وظلمهم، لا أنه أضلهم جبراً وقسراً.

وقال: ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٥)، فالواجب عليه، عز وجل، إذا كان الخلق لا يستوى عنده أن جعل التطهارة وإذهاب الرجس، للفرقة التى هى أقوم بدينه، وأعرف بحقه، وأقوم بطاعته، وأعلم بكتابه، وأحكم بسنته، وأقول بعدله

(٢) سورة الكهف: الآية ٣٠، وجاءت فى الاصل خطأ بيناً.

(٤) سورة إبراهيم: الآية ٢٧.

(١) سورة الاحزاب: الآية ٣٣.

(٣) سورة القصص: الآية ٦٨.

(٥) سورة الزمر: الآية ٩.

وتوحيده ، وإثبات وعده ووعيده، وأولى^(١) أن تثبت بالقول الثابت فى الحياة الدنيا قبل الآخرة .

فلما علمنا أن ربنا، عز وجل، قد طهر أهل بيت نبينا، صلى الله عليه، فى كتابه، وأذهب عنهم الرجس، وذلك للسابقين^(٢) منهم بالخيرات دون غيرهم، علمنا أنهم ٥٣ ظ / أهل الحق، وأهل العلم بالدين، والقومة بالكتاب، والحكام / على الناس، وأن من خالفهم هو المبطل الهالك؛ لأن الله، عز وجل، أكرم وأعدل وأحكم، من أن يذهب الرجس، ويظهر من الدرر والعيوب، من يكذب عليه، ويخالف كتابه ورسوله، صلى الله عليه، ويدع القوم الذين هم أقوم بدينه منهم .

فقد صح وثبت، والحمد لله، أن الحق، والدين الصحيح، والمذهب المرضى، مع القوم المطهرين، فى القرآن المذهب عنهم الرجس، وأن الباطل والضلال، والمجبر والتشبيه والخطأ والفساد، مع القوم الذين عاندوهم، ولم يطهروا فى القرآن، ولم يذهب عنهم الرجس، فوجب أن الحق المحق، مع القوم الذين أذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً، ومن قال بقولهم على الحقيقة؛ أن الله، عز وجل، لا يغلط ولا يخطئ ولا يجوز، ولا يضع الصفوة فى غير أهلها، ولا يعطى الحجج القاهرة من يكذب عليه، كما لا يجوز أن يعطى الله، عز وجل، المعجزات، من يكذب عليه، ممن يدعى النبوة وليس بنبي، ويغوى العوام وجهال الناس .

لا يعطى الله المعجزات لكذابين :

وذلك مثل ما ادعوا لفرعون من الخبير الذى سأل الله فى ، زعمهم ، فأرسل معه النيل يسير إذا سار ، ويقف إذا وقف ، ولوجاز أن يكون هذا حقاً ، لم يكن بين معجزة فرعون، ومعجزة موسى، عليه السلام، فرق، تجب به نبوة موسى، صلوات الله عليه، من إلقائه العصا وقلق البحر، وغير ذلك من الآيات .

فافهم هذا، أنت يا عبد الله بن عمر^(٣)، أكرم الله وجهك، أعنى ولينا عبد الله عمر، أكرمه الله .

(١) فى الاصل : وأولى .

(٢) ولذلك قال بعض علماء الزيدية، بأن اجتهادات الأئمة السابقين منهم «السلف» حجة لازمة .

(٣) هذا الرجل هو الذى أطلع الإمام أحمد بن يحيى على كتاب عبد الله بن يزيد البغدادي، فقام بالرد عليه فى كتابنا هذا .

الغزى من كتاب الجبر عبد الله بن يزيد :

واعلم يا أبا محمد ، أكرمك الله ، أن القوم إنما وجهوا إليك بكتاب عبد الله بن يزيد البغدادي ، ليوقفوك أن معهم من الحجج فى إثبات الجبر ، ما لا يقدر له أحد على نقض ، ولا رد جواب .

فقد أتاك من حجج الله ، وتصديق كتابه ، ما فيه الشفاء لكل مسلم ، والمعرفة بكذب من كذب ^(١) على الله ، عز وجل ، وافترى عليه ، وتاول كتابه على الكفر به ، والإلحاد فى صفته ، وإقامته لعذر المشركين وجميع العصاة ، واسناد كل ظلم وجور وفاحشة وفساد ، إلى رب العالمين ، عز عن ذلك أكرم الأكرمين .

فانعم النظر فيما رسمنا لك ، وعلمه المسلمين ، وأشهره فيما قبلك ؛ ليعرف الناس الحق من الباطل ، والحق من الكاذب ، إذ لا يسع غير ذلك ، وحرّج على من وصل إليه كتابنا هذا كتمانهُ ، حتى يبينه للناس ، وكفى ^(٢) بالله شهيداً .

احتج الجبر بقرول الله : ﴿ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾ :

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادي : ثم سلهم عن قول الله ، سبحانه : ﴿ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾ ^(٣) ، اليس قد جعلها قاسية ؟

فإن قالوا : نعم . فقد أعطوك بأن جعل بعض قلوب العباد قاسية ، فسلهم عند ذلك ٤٥٥ / فقل : أخبروني عن من جعل الله قلبه / قاسياً ، أيكلفه الإيمان وقد جعل قلبه قاسياً ؟

فإن قالوا : نعم . فقد أعطوك ما عابوا عليك من العدل . وإن قالوا : لم يجعلها الله قاسية ، فقد تركوا الكتاب .

فسلهم : أرايتهم قوله : ﴿ جَعَلْنَا ﴾ ، هل أنزل الله هذا ؟ . فإن قالوا : بلى ^(٤) . فقل : فإنه قال : ﴿ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾ ، فإن قالوا : إنما عنى بذلك جعلها قاسية بالنقض ؛ لأنه قال : ﴿ فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾ ^(٥) ، فقل لهم عند ذلك : إنا لانبالي على أى الوجهين جعلتم كلامكم ؛ لأنه عندنا لنا فيه حجة ، فلا نبالي قلتكم الطبع قبل النقص ، أو بعد ؟

(٢) فى الأصل : وكفا .

(٤) تكررت العبارة فى النص مرتين .

(١) فى الأصل : كذب .

(٣) سورة المائدة : الآية ١٣ .

(٥) الآية السابقة .

أخبرونا الآن، إذ زعمتم أنه طبع بعد بالنقض، وزعمتم أن من طبع الله على قلبه فلا يؤاخذ به بمعصية، وأن الله لا يفعل ذلك إلا بعد النقض، لأن وصف الله بأنه يطبع ثم يكلف فقد وصف الله بالجور!

أخبرونا الآن إذ أقررتم بأنه قد طبع النقض، وزعمتم، أكلفهم الإيمان من بعد ما طبع على قلوبهم؟!

فسلهم عند ذلك عن اليهود والنصارى، وجميع الكفار، واليسوا ناقضين؟ فإن قالوا: بلى (١).

قل: أفليس قد طبع الله على قلوبهم؟ فإن قالوا: نعم.

قل: أفليسوا مكلفين اليوم الإيمان، ولا يؤاخذهم الله بكفرهم بالله اليوم بعد الطبع فقد يطبع الله على قلوب قوم، ثم يكلفهم الإيمان؟! ..

فإن قالوا: نعم. فقل: أليس المؤمنون قد كانوا يسألون الله أن لا يظلمهم؟!

وأخبرونا عن من سأل الله أن لا يظلمه، أعرف الله أم لا؟

فإن قالوا: نعم، إنه يعرف الله.

فقل: أفليس يعرف الله من لا يدري لعل الله سيظلمه؟! فإنهم لن يعطوك هذا.

وإن قالوا: إنهم إنما فعلوا ذلك؛ لأنهم قد علموا أن الله قد كلف قوماً ما لا طاقة لهم به، في غير ظلم من الله لهم، فسألوا الله أن لا يخلقهم، فذلك العدل قد أقروا به.

رد الإمام أحمد بن يحيى:

الجواب قال أحمد بن يحيى، صلوات الله عليهما: وسألت عن قول الله، عز ٥٤ / وجل: ﴿ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾ (٢)، ونسبت العدل في ذلك، ووقع عندك وفي اعتقادك أن الله، تبارك وتعالى، العدل الذي لا يجور، ولا يقسى قلوب العباد عن طاعته ولا الدخول في دينه.

لو كان ذلك فعله، عز وجل، لما افترض عليهم الإسلام، ولا الاقتداء بمحمد، عليه

(٢) الآية السابقة.

(١) في الأصل: بلا

أفضل السلام، ولا جاز في عدله ولا في حكمته، ولا نفى الجور والظلم عن نفسه، أن يقول: ﴿ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ (١)، وهو الذى أقساها وحال بينها وبين الطاعة، بتلك القساوة الحائلة بينهم وبين الهدى.

ولو أنه، عز وجل، هو الذى أقساها، لم يكن لإرساله لنبيه، صلى الله عليه، معنى فى مجيئه إليهم، ليثبت عليهم الحجة، فيقول لهم: ﴿ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ (٢)، فقد أرسلنى الله، عز وجل: إليكم، لأن تدعوا قساوة القلوب، وترجعوا إلى الإيمان بالله، والإقرار بأنى رسول الله.

وإنما المعنى فى قوله: ﴿ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾ (٣)، فإنما ذلك بما حكاه الله عنهم فى أول الآية، فقال: ﴿ فِيمَا نَقُضِهِمْ مِّثْقَالَهُمْ لَعْنَاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ ﴾ (٤)، فهذه الوجوه الثلاثة حكم على قلوبهم بالقساوة، وسماهم قساة القلوب بفعلهم، لا أنه أقسى (٥) قلوبهم، وإنما نقضوا عهدهم وكفروا بآيات ربهم، وحرفوا القول عن مواضعه، ولا يزال الرسول، صلى الله عليه، يطلع على خائنة منهم.

جعل التسمية أراد لا جعل الجبر :

فهذا الذى به قامت عليه الحجة، ولم تقم على الله، جل ثناؤه، لهم حجة، وإنما سماهم، عز وجل، قساة القلوب، تسمية لا أنه جبرها على القساوة جبراً .

فالذى أراد من ذلك، عز وجل، من الجعل الذى غلطتم فيه، جعل الحكم والتسمية، لا جعل الجبر، وذلك جائز فى لغة العرب، تقول العرب: ضللتنى فلان، أن سماه ضالاً، وكفرتنى فلان: أى سماه كافراً.

قال الكميت (٦) :

فظائفة قد أكفرونى بحبكم وطائفة قالوا مسئ ومذنب

وزنانى فلان : أى سماه زانياً ، فعلى هذا القياس يخرجُ الكلام، فعهد الله بن يزيد

(٢) سورة آل عمران: الآية ٣١ .

(١) سورة الزمر: الآية ٢٢ .

(٥) فى الأصل: أقسا .

(٣)، (٤) سورة المائدة: ١٣ .

(٦) الكميت بن يزيد بن خنيس الأسدى، شاعر الهاشميين، اشتهر فى العصر الأموى وكان عالماً بآداب العرب ولغاتها

وأخبارها وإنسابها، تعصب للمضريين، قيل فيه: لولا الكميت لم يكن للغة ترجمان، انظر الزركلى: الاعلام

٢٣٣/٥ .

البغدادى، يحتج لهم حتى تقوم حجتهم على الله، ويثبت عذرهم فى نقض العهد والكفر، وتحريف القول والخيانة.

ونحن نحتج لله ، عز وجل، ونزودهم عن قوله؛ لئلا يكون للناس على الله حجة ٥٥ و/ بعد الرسل، والمجبرة المفترية / على الله، جل ثناؤه، يطلبون إبطال قوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لِكُلِّ أَصْحَابِ الْمَذَلَّةِ فِي الْكُفْرِ حُجَّةٌ كَمَا كَانَ لِلنَّاسِ فِي الْإِيمَانِ حُجَّةٌ﴾ (١)، وتكون الحجة لهم على الله، يدورون فى كسر هذه الآية، ويحتالون على فسادها بكل حيلة، ﴿وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (٢).

فانظر أى الفريقين يحتج لله ، عز وجل، ومن الذى يحتج عليه، ويلزمه خطأ الكفار، ويسند إليه أنه لولا ما أقسى (٣) به قلوبهم ، لسلموا من النار، ونجوا من العقوبة!

سبحان الله العظيم، ما أقبح هذا القول، وأشنع هذا من مذهب قوم، يسمعون القرآن ويقرون به ، أنه من عند الله، عز وجل، ثم يكون هذا دفعهم عن الكفار، ونفيهم العيب عن جميع العصاة، وإلزامهم العيب والجور لربهم، عز وجل عن ذلك وتعالى.

ألا ترى كيف قال فى القوم الذين أراهم آيته ، ليؤمنوا به، فلم تزدهم تلك الآيات إلا تجاهلاً وتعامياً ، حتى صاروا بذلك الفعل إلى ما نسبهم الله، عز وجل، إليه، حيث يقول: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيُخْرِجُ مِنْهُ الْمَاءَ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ (٤).

أفلا ترى أن قسوة القلوب، إنما هى بعد ما رأوا الآيات، وبان لهم الحق، وأنهم هم الذين أقسوا قلوب أنفسهم، لا هو، عز وجل، إنما سماهم بما فعلوا واختاروا، وضرب لهم المثل العظيم فى الحجارة ، أنها ألين من قلوبهم القاسية، التى أقسوها عن الله، عز وجل، عدواناً وظلماً ، وحمية وعصبية على الكفر.

(٢) سورة التوبة : الآية ٣٢ وفى الاصل : وبها .

(١) سورة النساء : الآية ١٦٥ .

(٤) سورة البقرة : الآية ٧٤ .

(٣) فى الاصل : أقسا .

أقسام الجعل فى كتاب الله :

وقد أعلمناك أن الجعل فى كتاب الله، جل ثناؤه، على وجهين: جعل حكم وتسمية، وجعل جبر وقسر وحتم، لا مخرج منه لأحدٍ من الخلق.

جعل الحكم والتسمية:

فالجعل الذى هو جعل الحكم والتسمية، مثل قوله، عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النُّارِ﴾^(١)، وقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾^(٢)، وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾^(٣)، ذلك كله مما ليس لله، عز وجل، فيه جبر خلقه، ولا قسر ولا حتم، وإنما سماهم، وحكم عليهم بفعلهم.

جعل الجبر والقسر والحتم:

وأما جعل الجبر والقسر والحتم الذى لا مخرج لأحدٍ فيه، ولا حيلة فيه ولا محيص عنه، فهو ما لم تعقله، أنت وأصحابك المجبرة، ولم تأخذوه من عين صافية ولا منهل روى، ولا وراثة عن نبوة، وكيف يشرب الماء العذب، من اغترف من البحر المالح الأجاج!!

٥٥ / فذلك قوله، عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا / السَّاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾^(٤)، ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتِينَ﴾^(٥)، ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا﴾^(٦)، ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا﴾^(٧)، ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾^(٨).

مقالة المشبهة والمجبرة فى الحقيقة الواحدة:

وهذه من حجتكم على أهل التشبيه فى إثبات التوحيد، إذا قالت لكم المشبهة: إن القرآن كلامُ الله نطق به بألة كآلة المخلوقين. واحتججتهم عليهم بأنه مجعول، وهذا مما يفسد عليكم التوحيد، ويسقط دعواكم فيه، لما تقولون به من الجبر.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٧٣.

(٤) سورة الأنبياء: الآية ٣٢.

(٦) سورة الأنبياء: الآية ٣٠.

(٨) سورة الزخرف: الآية ٣. كتبت خطأ هكذا: وجعناه.

(١) سورة القصص: الآية ٤١.

(٣) سورة المائدة: الآية ١٣.

(٥) سورة الإسراء: الآية ١٢.

(٧) سورة النبا: الآية ١٣.

فلا يزال الكلام يدخل عليكم في اعتقادكم للجبر، بما يبطل عليك ما قلتم به من التوحيد؛ لأنه لا يقوم توحيد بلا إثبات عدل، لأن من وصف الله، عز وجل، بالجبر، فقد شبهه بالخلقين، وهذا معنى جوابنا في هذا من فساد التوحيد عليكم، بما فيه الكفاية إن عقلتم؛ لأنه لا يقوم التوحيد ولا يصح إلا بإثبات العدل؛ لأنه لا يوحد الله، عز وجل، من شبهه بالجائرين؛ لأنه مشبه كالمشبهين.

وأما قوله، عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾^(١)، فإنما هو جعل حكم وتسمية، لا جعل خلق ولا جبر، ولو كان، عز وجل، إنه هو الذى خلق ذلك إلا فك؛ لأن أفعال العباد، على زعمكم، مخلوقة. فافهم هذا الباب الذى غلظت فيه، وأهلكت من اتبعك^(٢)، وإلا^(٣) لزمك أن الله، عز وجل، خلق أفك الأفاكين؛ ثم عذبهم على خلقه، لا على أمر فعلوه هم، ولا خلقوه!!

فإن قلت: خلق نصفه وهم نصفه، فعل من فاعلين، على قولكم، إذ زعمتم أنه خلق خلقاً لله، واكتساب من العباد!

قلنا لك: فحسبك برجل زعم أن ربه شريك للأفاكين، وأنه جعل عليهم العذاب كله، وأنه الذى خلق الفعل، فكان الواجب أن يجعل عليهم نصف العذاب، إن كان ثم عدل أو حكم حق لاجور فيه.

وبالله ما زادت عبدة الأوثان، على قولك هذا، أن قالوا: إن الأوثان أرباب مع الله، عز وجل، وأنهم عملوا بأيديهم، ثم زعموا أنها التى ترزقهم وتقربهم، وكذلك قلتم: إنه خلق الشرك والكفر، وأقسى^(٤) القلوب. ثم خلد من فعل ذلك فى العذاب الأليم!!

ثم نقول لك: خبرنا عن خلق أعيان العباد؟.. فإذا قلت: الله. قلنا لك: وكذلك خلق نظرهم إلى المحارم، وإلى عورات النساء، وجميع القبائح!!.. فإن قلت: نعم. قلنا لك: فلم عذبهم على خلقه لنظرهم إلى المحارم، ولم يعذبهم على خلقه لأعينهم^(٥)، التى خلق فى رؤسهم!! فلا تجد حجة تجيبنا بها.

(٢) فى الاصل: اتبعك.

(٤) فى الاصل: وأقسأ.

(٥) فى الاصل: لأعيانهم. وهو يقصد العين: عضو الإبصار ويجمع على أعين، وعيون، انظر المعجم الوسيط: ٦٤٧/٢.

(١) سورة المائدة: الآية ١٣.

(٣) فى الاصل: وإن لا.

وكيف ما أذعيت من أمر في النظر المحارم، لزمك مثله في خلقه للأعيان، وكذلك
الاسماع والالسنه والأيدى والأرجل. لقولك: أليس قد خلق الله، عز وجل، يدَ
السارق؟

فإن قلت: بلى (١). قلنا لك: وكذلك قد خلق سرقته لأستار الكعبة، وأكفان
٥٦ / الموتى (٢)، وأموال المؤمنين، فإذا قلت: نعم. قلنا لك: ما (٣) عذرك وما
حجتك إذا سألناك / : لمْ عذبه على سرقته (٤) أستار الكعبة، وأكفان الموتى، وأموال
المؤمنين، ولم يعذبه على خلقه ليده التي بها سرق وظلم؟!!

فلا تجدُ حجة تدفعنا بها أبداً بحيلة من الحيل، إلا أن ترجع عن قولك، وتصير إلى
العدل، فنقول: إن السرقة فعل العبد، ولذلك أمر بقطع يده، وأن السرقة ليست خلقاً
لله، وأن اليد هي خلق لله، جل ثناؤه، لا عذاب على العبد فيها، وهذا هو الحقُ
والعدل، وهو قولنا.

وإن قلت: كلاهما خلقُ الله، اليد والسرقة.

قلنا لك: فما له لم يعذبه على خلق يده، كما عذبه على سرقته؟! فلا تجد حجة
تدفعنا بها أبداً، ولا فرقاً يفرق لك لمْ عذَّبَ على بعض خلقه، ولم (٥) يعذب على
بعضه؟ وهذا غاية الفلج، وقطع المعاند.

ثم نقول لك: خبرنا عن قوله، عز وجل، يحكى عن الكفار ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ
هُم عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاءً أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ (١٩)، فنقول لك:
كيف جعل الكفار الملائكة إناءً؟ وكيف هذا الجعل الذي ذكر الله، عز وجل؟ فإنه
لا بد لك ولا محالة أن تقول: سموهم وحكموا عليهم، بما قالوا فيهم أنهم أناثٌ غير
ذكران.

فنقول لك: قد لزمك الرجوع عن قولك، والتصديق لنا أن الجعل في كتاب الله، عز
وجل، على وجهين.

(٢) في الاصل: الموتى.
(٤) في الاصل: سرق.
(٦) سورة الزخرف: الآية ١٩.

(١) في الاصل: بلا.
(٣) في الاصل: مما.
(٥) ليست في الاصل.

وإن قلت : جعلوهم جعل خلق؛ لزمك أن المشركين خلقوا الملائكة !! فإى هذين الوجهين قلت به، غلبت وسقطت حججتك فى قولك أن الله، عز وجل، هو الذى جعل قلوب الكفار قاسية، جبراً وقسراً وحتماً؛ لأن الله، عز وجل، هو الجاعل للجساد، لا جاعل لها غيره، وذلك قوله : ﴿ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴾ (٨) ﴿ (١) .

وكذلك جميع المعاصى الله، عز وجل، منها برئ لم يجعلها جعل خلق، ولا بنية مركبة، وإنما جعلها الظالمون باتباع الهوى وحب الدنيا، وتقليد الرؤساء والحمية على الكفر والخطأ، والرغبة فى التافه الأدنى (٢)، وليس لله، عز وجل، فى فعلهم فعل قل ولا كثر، صغر ولا كبير، عز وجل عن ذلك وتعالى علواً كبيراً.

الكسب يدل على الشرك :

ومن الدليل على تصديق قولنا، وبرهان حقنا، أن الله، عز وجل، لم يخلق أفعال العباد، ولم يقض على خلقه بالفساد، ولم يرد الإلحاد، ولم يقدر العناد، ولا العبادة للانداد؛ أن يقال لك : يا عبد الله بن يزيد البغدادي، ولمن قال بقولك من المهجرة؛ ٥٦ ظ / خبرونا عن هذه المسألة العجيبة الدامغة، أيهما عندكم أفضل، خلق الله، جل ثناؤه، الذى / ليس للعباد فيه اكتساب ولا فعل، أم خلق الله الذى للعباد فيه اكتساب وفعل؟

فإن قلتم : إن خلق الله الذى فيها اكتساب وفعل أفضل . قلنا لكم : فقد أوجبتم فى قولكم، ولزمكم أن الزنا واللواط والخمر والمعازف والمزامير والكبائر، أفضل من الملائكة والنبیین والمرسلين، والأئمة الهادين الراشدين، ومن القرآن المبين، ومن التوراة والإنجيل .

وهذا كفر من قائله، وهالك عند الله، عز وجل، ومن اعتقده ودان به، قد بان خطؤه (٣) ولم يجز خطابه، وانقطعت حجته، وانتهت ستره، ولا ينبغى الكلام عندنا لمثله .

(٢) فى الاصل : الادنى .

(١) سورة الانبياء : الآية ٨ .

(٣) جاد فى الاصل : خطاه .

وإن قلتم ، ودمتم على جهلكم والمكابرة لآيات ربكم : بل نقول : إن خلق الله الذى ليس للعباد فيه اكتساب ، ولا فعل أفضل .

قلنا لكم : فقد أوجبتهم فى قولكم هذا ، ان الخنزيرَ والكلبَ والحمار ، والقرد والبيغل واليهودى والنصرانى ، خيرٌ من الإيمان ، ودين الإسلام ، وكفرتم بالله العظيم ، جل الله عما تقولون وتقدس وتعالى علواً كبيراً .

وإن قلتم : لسنا نقول إن أحداً منها أفضل من الآخر، ولكننا نقول هما سواء .
لزمكم أنكم قد جعلتم الحمار والكلب والخنزير، واليهودى والنصرانى سواء هم عندكم، وعلى قولكم ، والملائكة المقربين والأنبياء المرسلين ، ومكان البيت الحرام والحجر الأسود ومقام إبراهيم ، عليه السلام، والمؤمنين والشهداء والصالحين، والمشعر الحرام، سواء هو عندكم ومن ذكرتم!!!

فليس لكم، ولا لأحدٍ من جميع أخوانكم المجبورة، أهل الفرية على الله، جل ثناؤه ..

من هذه الثلاثة الوجوه مخرج، ولا راحة بوجه من جميع الوجوه كلها، ولا سبب من الأسباب!

وفى هذا تقوم الحجة بالحق ، ويسقط الباطل ، ويبين من المحق ومن المبطل . إلا أن ترجعوا إلى القول على الله ، سبحانه، بالعدل ونفى الجبر؛ وتقولون بقولنا بالعدل، وهو دين الله، عز وجل، فتقولون : إن الله ، جل ثناؤه، برئ من أفعال العباد كلها، وأنه لم يخلق منها شيئاً ، قل ولا كثر ، صغيراً كان ذلك أو كبيراً، ولا حسناً منها ولا قبيحاً، ولا طاعة منها ولا معصية ، وتقولون : إن ذلك كله أمر ونهى، لأجبر ولا حتم ولا قسر، وإنما أمر الله، جل ثناؤه، بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأمر والنهى محتوم، أى مفروض لا جبراً وقسراً ، ويصدق ذلك قوله ، عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾ (١) ، و ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ (٢) ، ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ (٣) ، ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ (٤) ،

(١) سورة النحل : الآية ٩٠ .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٨٣ .

(٣) سورة البقرة : الآية ١١٠ .

(٤) سورة آل عمران : الآية ٩٧ .

ولم يقل، عز وجل ، أنه خلق واحداً من هذه الأشياء، التي افترضها وأمر بها، وقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ ﴾ (١) ، ولم يقل خلق تأديتكم للامانات، وأنه، عز وجل ، أرسل رسله بالدعاء إلى الإيمان ، فسارع إليه المؤمنون ، غير مكرهين ، ولا مجبورين ، وكذلك نهى عن الشرك والكفر وجميع المعاصي، فاستعصم عليها المشركون والكافرون وجميع العاصين غير مكرهين ولا مجبرين .

وتصديق ذلك وشاهده قوله، عز وجل، لنبيه، صلى الله عليه وعلى آله ، : ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ ﴾ (٢) ، ولم يقل كما خلقت فعلكم وجبرتكم، ولم أورد إيمانكم، وقوله، عز وجل، للظالمين : ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ ﴾ (٣) ، ولم يقل عما خلقت فيهم، وأردت منهم، ولو خلقه فيهم وأراده منهم ، لم يجز في الحكمة ولا في العدل أن يقول : ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ ﴾ (٣) .

وكيف يعتو من فعل عتوه غيره؟ في أى لغة وجدتم هذا ، أم فى أى نحو (٤) أم فى أى قرآن ، أم فى أى شعرٍ قالته العرب ، أم فى أى خبر عن رسول الله ، صلى الله عليه ، أم فى أى حرية ، أم مروءة أم فى أى سيرة ، أم فى أى سنة، أم فى أى عقل أو جميل أدب ، إلا فى سيرة سدم (٥) وسنته، وأديه وأحكامه التى هى تتحرى (٦) للصبيان ، ويتحدث الناس بها فى المجالس ، تعجباً من جور سدم، وقبح حكمه، وسخافة عقله .

فيا سبحانه الله العظيم ، لقد جعلتم ، أيها المجبرة المفترون ، أحكام الله ، جل ثناؤه، وأفعاله كأخحككم سدم وأفعاله، بل سدم عند أهل المعرفة ، يكبر عن كثير مما أسندتم إلى الله العدل، الذى لا يجوز، سبحانه وتعالى عما يصفون .

(١) سورة النساء : الآية ٥٨ .

(٢) سورة هود : الآية ١١٢ .

(٣) سورة الأعراف : الآية ١٦٦ .

(٤) النجوى : ما يخرج من البطن من ريح وغائط ، أو السحاب يهريق ماء ثم يمضى (انظر المعجم الوسيط : ٩١٢/٢) مادة؛ نما .

(٥) السدم : من أصابه الهم والغيب والحزن فهو (سدمان ندمان) ، أو السدم ؛ من الفحول : الهائج، وعاشق سدم : شديد العشق ؛ ولعل المؤلف يقصد المعنى الأخير . (انظر المعجم الوسيط : ٤٢٦/١ مادة ؛ سدم) ، وسدم : أحد ملوك اليمن الجاثرين، أصحاب السيرة القبيحة .

(٦) هكذا فى الأصل .

ثم زعمتم أنه غير جائز!.. وهذا الخروج من المعقول ، فليت شعري ، كيف يكون الجور إلاما قلتكم وعليه اعتمدتم!.. وهذه حجة لا مخرج لكم منها، في قولكم يخلق الأفعال . وعندها بيان فضيحتكم ، والحمد لله رب العالمين .

وأما قوله ، عز وجل : ﴿ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾^(١) ، فإن ذلك ليس بنسيان من وجوه^(٢) النسيان ، الذى يجب فيه العقاب؛ لأنه قد روى عن رسول الله ، صلى الله عليه وآله ، أنه قال : «رفع القلم عن ثلاث، عن النائم حتى يستيقظ ، وعن الطفل حتى يبلغ ، وعن الناسى حتى يذكر»^(٣) .

تفسير النسيان فى الآية:

وأما هذا النسيان الذى ذكر فى القرآن ، فهو الترك متعمداً^(٤) لا نسيان سهو ، وذلك النسيان المتعمد ، يجب على صاحبه العقاب ، وهو نسيان الترك متعمداً^(٥) ، شاهد ذلك قوله، عز ، وجل : ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾^(٦) ، أى تركوا أمر الله ، فتركهم ٥٧ ظ / من رحمته / والله ، عز وجل ، لا ينسى ، ولا يؤاخذ بالنسيان ، إلا نسيان العمد الذى ذكرنا ، مما يجرى فى اللغة^(٧) ، فافهم هذه اللغة العربية التى جهلتها ، واحتججت فيها بأول الآية ، فى قساوة قلوبهم ، ولم تذكر أول القصة ، ولا آخرها ، وجئت بالوسط فى الآية ، ورجوت أن تتعلق فى الوسط ، بحرف تتفرج إليه ؛ وتزين به ، عند أصحابك ، وتفترى على الله ، عز وجل ، فيه ، ما قد قلت ، فانظر ما حل بك!.. ، والحمد لله الموضح لدينه ، المعز لكتابه ، وهو القوى العزيز .

قسى الله قلوبهم بما نقضوا من الميثاق :

وأما قولك أنا سوف نحتج عليك ، فى هذا الموضوع ، بأن الله ، عز وجل ، لم يقس

(١) سورة المائدة : الآية ١٣ . جاءت فى الاصل : فنسوا .

(٢) فى الاصل : وجه .

(٣) سبق تخريجه .

(٤) ، (٥) فى الاصل : متعمداً .

(٦) سورة التوبة : الآية ٦٧ .

(٧) فى اللغة : نسى فلان الشئ نسوةً ونسوةً ونسياناً : تركه على دهور وغفلة ، أو تركه على عمد . (انظر المعجم الوسيط

١/٤٩٢٧ مادة : نسا) .

قلوبهم ، إلا بما نقضوا من الميثاق ، فذلك لعمر الله ، من أقوى حجج الله ، عز وجل ، وحججنا عليك ؛ لأن الله ، جل ثناؤه ، لم يأخذهم إلا بعد ظلمهم ، ولم يحكم عليهم بقساوة القلوب ، إلا بعد ما اختاروا القساوة ، وصدوا عن الحق ، والشاهد لنا على ذلك قول الله ، عز وجل : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ ﴾ (١) ، وأنت تقول : (٢) إنه أقسى قلوبهم ، بغير جرم ، ولا ذنب كان منهم .

والضلال منه أيضاً ، إنما هو ضلال حكم وتسمية ، شاهد ذلك قوله ، عز وجل : ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾ (٣) ، وقوله : ﴿ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ﴾ (٤) ، فأين ماجبرهم عليه ، زعمت ، من قساوة قلوبهم بعد هذه الحجج ، التي لا مخرج لك منها (ولا) (٥) لمجبر مثلك أبداً ؟

فلكم جهدتم ، في إبطال ما قلنا ، فإن جئتم بحجة - ولن تجيئوا بها أبداً - سلطنا لكم ، ومحال أن يقوم ، الباطل أبداً (٦) ، والحمد لله رب العالمين .

الجبرة والطبع :

وأما ما قولك أنك تسألنا ، زعمت ، عن طبع الله ، عز وجل ، على قلوبهم ، بعد النقض لعهدهم ، وأنه يلزمن أنهم مطبوع على قلوبهم ، ثم كلفهم الله ، عز وجل ، الإيمان ، بعد ما طبع على قلوبهم .

وشاهد ذلك عندك ، زعمت ، في كتابك ، أن اليهود والنصارى اليوم ، قد طبع الله على قلوبهم ، وهم مع ذلك الطبع ، مكلفون للإيمان ، والخروج من الكفر .

نفى العدالة أن يكون طبع قسر وقهر :

فإن أقررنا لك ، زعمت ، بذلك فهو قولك ، زعمت ، والعدل عندك ، زعمت ،

(١) سورة التوبة : الآية ١١٥ .

(٢) في الاصل : « تقول أنت » ، وهو سهو من الناسخ .

(٣) سورة البقرة : الآية ٢٦ .

(٤) سورة إبراهيم : الآية ٢٧ .

(٥) هكذا في الاصل على تقرير : ولا لمجبر مثلك أبداً الخروج منها .

(٦) أى حجة .

فاسمع إلى جوابنا ؛ وليس قولنا أن الطبع الذى طبع الله ، عز وجل ، على قلوبهم طبع جبر ولا قسر ، فتلزمه الجور والظلم والخروج من قرآنه الذى قال فيه : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (١) ، و ﴿ إِلَّا مَا آتَاهَا ﴾ (٢) ، وقوله : ﴿ وَمَا رُبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (٣) ، وقوله : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ (٤) ، ﴿ وَأَنَّ لَيْسَ لِلإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ (٥) ، ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ (٦) ، ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ (٧) ، ﴿ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ﴾ (٨) .

هو طبع حكم وتسمية :

٥٨ و / وإنما ذلك الطبع طبع حكم وتسمية ، حكم عليهم ، عز وجل ، وسماهم مطبوعاً على قلوبهم ، بما اختاروا من الضلال ، وتركوا الحق وما جاءت به الرسل ، صلى الله عليهم ، ولو كان الامر على ذهبت إليه ، لم يكن اليهود والنصارى اليوم مكلفين الإيمان ، وكيف يكلفون الإيمان ، وقد حال بينهم وبينه بالطبع . على قلوبهم - زعمت !؟

وفى هذا الخروج من حكم القرآن . والجبر لرب العالمين ، وهذا يوجب على أهل الإسلام أن لا يقاتلوا الروم ، ولا يسبوا حرمااتهم ، ولا يغنموا أموالهم ، ولا يسفكوا دماءهم ، وأن لا يدعوا يهودياً ولا نصرانياً إلى الدين أبداً ؛ لأنهم فى قولكم ، قد طبع الله على قلوبهم ، ولا حيلة لهم فى الرجوع إلى الإيمان ، من أجل ذلك الطبع الذى قام به عذرهم فى قولكم .

وهذا أعظم الجور ، وأبين الكفر ، إذ نزل الله ، عز وجل ، علينا قرآناً (أخذناه من) نبي صادق ، يقول لنا فيه : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلَّهُ لِلَّهِ ﴾ (٨) ،

(١) سورة البقرة : الآية ٢٨٦ .

(٢) سورة الطلاق : الآية ٧ .

(٣) سورة فصلت : الآية ٤٦ .

(٤) سورة الإسراء : الآية ١٥ .

(٥) سورة النجم : الآية ٣٩ .

(٦) سورة الزلزلة : الآية ٨ .

(٧) سورة الانعام : الآية ١٦٤ .

(٨) سورة الانفال : الآية ٣٩ .

فكيف يكون الدين كله لله ، وقد طبع الله على قلوبهم بالقسر والجبر ، حتى لم
يقدرُوا على الخروج من الكفر، الذى فى زعمكم !؟

ونحن فلا ننسبُ إلى ربنا هذا ، عز وتعالى أن يكون هذا فى حكمته ، وفى ملكه
وإتقانه ، عز عن هذا القول الذى قلتُم .

وكذلك قوله فى اليهود : ﴿ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ (٢٩) ﴿ (١) ،
وإنما الطبع على قلوبهم، اسم سماهم به بفعلهم ، وحكم (حكم) (٢) عليهم به
بفعلهم، شاهد ذلك قوله ، عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ
يَظْلِمُونَ ﴾ (٤٤) ﴿ (٣) ، وكذلك قال ، عز وجل : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ (٤) أى
حكم عليها بأنها زائغة عن الحق ؛ لا أنه هو الذى أزاغها عن الهدى (٥) ، ولو أزاغها
عن الهدى، لم تلزمها حجة ؛ إذ لا طاقة لها بالزيغ لقلوبها ، ولا قوة لها عليه ، ولو
كان ذلك منه ، عز وجل ، لم يكن بينه وبين إبليس فرق ، فى عداوة بنى آدم
وصدهم، وإضلالهم وإقساء قلوبهم ، وإمالتهم عن الهدى ! جل الله عن ذلك ،
وتعالى علواً كبيراً .

تم الجزء الأول وبتلوة الجزء الثانى

-
- (١) سورة النبوة : الآية ٢٩ .
 - (٢) ليست فى الاصل .
 - (٣) سورة يونس : الآية ٤٤ .
 - (٤) سورة الصف : الآية ٥ .
 - (٥) فى الاصل : الهدا